الفصل العاشر

منهج تربية المراهقة ومبادئها الخلقية والعقلية والاجتماعية والعاطفية

البحث الأول:

المبادىء الهامّة في تربية المراهقة

لعلَّ أصعب مراحلِ التّربية هي تربية المراهقة، كما أنّ أصعب المراحل التّعليمية هي المرحلة الثّانوية، لأنّ المتعلمين فيها في مرحلة المراهقة، وقد وجد المربُّون صعُوباتٍ شتَّى لِما في أمرِ التّربية في هذه المرحلة من الاهتمام البالغ، والعناية التّامّة، فإنّ المراهقةَ تَنتقِلُ من مرحلةٍ إلى مرحلة، فالمراهقة تمرُّ بمرحلة بينَ الطّفولة والبلوغ، وأنّ قدراتها في مرحلة نموٍّ سريعٍ، ولهذا فهي تتعر بحالةِ تغيّرٍ مفاجىءٍ غير مستقرّة، تصبح متردّدة بينَ الطّفولةِ والنّضج النّسائي، ومعاملة النّساء لها تتردّد كذلك بينَ الأمرين.

ولهذا اعتنتِ المربّياتُ بتربية المراهقات، وذكرنَ المبادىء والطّرق والأساليب التّربويّة الصّحيحة لذلك، وفيما يلي أشير إلى بعض هذه الأساليب الهامّة، وأُحيلُ المستزيدَ منها إلى قراءات متخصصة في هذا الموضوع[١].

ولننتقل الآن إلى ذكر هذه المبادىء وشرحها:

أولاً: يجب أن تفهم الأمّهات مشاعرَ بناتهنّ المراهقات وإحساساتهنّ:

معروف أنّ المراهقات يَمِلْنَ إلى تأكيد ذاتيتهنّ ويُحببنَ أن يظهرنَ شخصيتهنّ، وأن يظهرن بالمظهر المتكامل، ويَمِلْنَ إلى مقاومة السّلطة

(١) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النّفس، للدكتور محمد السّيّد محمد الزعبلاوي.

obeikandl.com

والضّعف، ويرين في أن تُحترم شخصيتُهنّ وآراؤهن ويضقن من النّقد الصّارخ والسّخرية منهن والتّنقيص من شخصياتهنّ، ولا شك أنّ هذه الصّفات موجودة بدرجةٍ من الدرجات في أيّ إنسان إلّا أنّها تكون ملحوظة وملحة عند المراهقات بدرجةٍ زائدة عن العادة، وهي توجد بدرجة أقلّ من العادة في مرحلة ما قبل المراهقة.

وكلما كانت الرغبات شديدة وملحة كلما تركتْ أثراً أكبر عند تحقيقها وعدم تحقيقها.

ولهذا فعلى الأمّهات أن يتفهمنَ بناتهنّ ويفهمنَ مشاعرهنّ في هذه المرحلة على ما هي عليه، وإلى جانب فهم مشاعرهن فعليهنّ أيضاً أن يتعرفنَ على الخبرات الماضية التي مرّت بها أُولاء في المراحل السّابقة، فهذه الخبرات النّاتجة عن معاملاتهنّ سواء أكانت مؤلمة أم سارة تؤثر في سلوكهنّ الحاضر وفي معاملاتهن لأفراد البيت وتؤثر في اتجاههن عن طريق اللّاشعور.

ثانياً: أن تكون الأمهات صريحات وأمينات مع بناتهنّ:

فلا يُظهرنَ ما لا يبطنّ فإذا شعرت البنات بعدم مصارحتهنّ بإبداء آرائهنّ في المواقف التي يقفنَ فيها وفي الاتجاه الذي يسلكْنَهُ فإنّهنّ يرتبكنَ في المواقف الأخرى عندما يحاولنَ أنْ يعرفنَ آراء أمهاتهنّ لأنهنّ لا يطمئنّ إلى صراحة مواقفهنّ وصدقهنّ في إبداء آرائهنّ.

ثالثاً: أن يحيين مع بناتهنّ ويعشن مع مشاعرهنّ ورغباتهنّ وخبراتهنّ:

فيعرفنَ بما هُنّ عليه، وبما طبعنَ عليه من ميول واستعدادات لتكون تربيتهنّ أو توجيهاتهن في ضوء تلك المعرفة الأساسية.

رابعاً: أسلوب مقابلة مشاعر الغضب عند المراهقات:

إنّ مرحلة المراهقة أكثر المراحل توتراً من النّاحية الانفعالية، ولهذا فسلوك المراهقة ومواقفها واتجاهاتها لا تكون مستقرةً وانفعالاتها الشديدة تجعلها تكبر الصّغيرة وتصغر الكبيرة، قد تغضب لأتفه الأمور أشد الغضب، وقد لا تُبدي أيّ

اهتمام لأهمّ الأمور، ولهذا لا يزنّ الأمور بالقسطاس المستقيم في أغلب تصرفاتهنّ، فبناء على هذا ينبغي أن تتيح الأمهات فرصاً لهؤلاء ليُفرغن شحنات انفعالاتهنّ ويسقطن ما في نفوسهن من مشاعر مكبوتة ويستقبلن كلَّ هذا منهنّ بصدر رحب وحكمةٍ وأناة، ثم يشرحنَ لهنّ لماذا يغضبنَ هذ الغضب ويسقطن هذه الانفعالات الثّائرة.

خامساً: أن يعشنَ مع بناتهنّ في جو عائلي عاطفي تسود فيه المحبّة والمودّة والعطف والحنان:

هذه الأمور تجعل البنات لا يسترحنَ إلى مجالسة النّساء كما يسترحن إلى مجالسة الأمهات ولا يتمتعنَ بمصاحبة الغير كما يتمتعنَ بمصاحبة أمهاتهنّ وآبائهنّ، لأنّهنّ لا يجدنَ أحداً يفهمهنّ ويُوجههنّ ويُخلص في توجيههن كالوالدين، وهذا يمنعهنّ من مصاحبة الرّفيقات الشّريرات والفاسدات، وكل هذه الأمور أهم في هذه المرحلة من غيرها.

وأهم شروط التربية للصحة النفسية للأولاد في مرحلة ما بعد المراهقة هي توفير الشروط التي ذكرناها لتحقيق السعادة النّفسية، فما دام الإنسان لا يشعر بالسعادة في قرارة نفسه، فإنّه لا يمكن أن تحقق عنده الصّحة النّفسية وإذا لم توجد الصحة النّفسية فإنّه معرض للأمراض النفسية العضوية معاً لوجود الروابط الوثيقة بينهما.

وقد أشرنا إلى هذا الارتباط وهذه العلاقة في كتابنا «أصول تربية الأبناء والبنات في ضوء القرآن والسّنّة» في قسم «تربية المراهق».

البحث الثاني:

مبادىء التّربية الخُلقية للمراهقة

اتّفقَ المربُّون على أنّ التّربية الأخلاقية تُعتبر أصعبَ جانبٍ في التّربية عُموماً، ولعلّ صعوبة الأمر ترجع إلى أنّ التّربية هنا تعتمد على تربية النفس،

obeikandl.com

وتربية النّفس أصعب من تربية الجسم لأنّ العلم بشأن هذا الأخير تقدم واكتشف الكثير من قوانينه بخلاف الأولى، فإن معظم قوانين علم النّفس لا تزال مجهولة وما اكتشف منها لا شيء بالنسبة لما لم يكتشف بعد.

كما اتفقوا على أن التربية الخُلقية ألزم تربية للحياة الإنسانية، فحياة الجماعة ومدى نجاحها وسعادتها واستقرارها مرتبطة بحياتها الأخلاقية، والأخلاق من أهم الصّفات التي تميز الإنسان من الحيوان والحياة الإنسانية من الحياة الحيوانية.

والإنسان الخير هو الإنسان المتخلق، وبناء الشّخصية الأخلاقية أهمّ من تكوين العالم في ميدان بناء الإنسان، ذلك أنّ الإنسان الجاهل المتخلّق خير من العالم الّلاأخلاقي، لأنّ الثاني أضر بالنّاس من الأول، والعالمُ الفاسدُ أكثرُ فتكاً بالمجتمع من الجاهل الفاسد، ولأنّ الجاهل مهما كان فتّاكاً فضرره محدود لا يتجاوز حدود أفراد معينين. أمّا العالم الفاسد فيستطيع أن يُفسد المجتمع بأسرهِ، بل المجتمعات بأسرها حتى إن لم يرد إفساد المجتمع فإنّه بلا شك يُفسد نفسه ويفسد بيته، ولهذا يقول التّربيُّون: «إنّ التّربية الطيبة هي أكبر خير يمكن أن يُسْدَى إلى الأولاد». ويقولون أيضاً: «إنّ نقل المرء لورثته ثروة، ليس شيئاً بجانب إتحافهم بهذا الميراث الأخلاقي الذي يعلمهم التّصرف بحكمة في الثروة متى وضعوا اليد عليها وتحديدها متى فقدوها والصّبر عنها بلا أسف حين لا يستطيعون تحصيلها» ومن ثمّ يُعطون كل الأهمية في التّربية الأخلاقيّة قائلين: «إنّ العناية الأخلاقية هي غاية الدّقة، وإنّ أكثر النّاس حتى أولي الألباب لا يفهمونها حقّ فهمها، ويظنون أنّهم فعلوا كل ما يجب عليهم أن يفعلوه متى تركُوا لأولادهم سعةً ماديّةً».

وفي مجال التّربية والتّعليم إمّا أن نربّي إنساناً متعلّماً متخلّقاً، أو لا نربّي ولا نعلّم، لأنّنا إذا علّمنَا إنساناً ولم نعلّمه أخلاقاً ثم عيّناهُ في أحسن المراكز موظفاً كأن يكون مديراً لدائرةٍ أو لخزانة الدّولة أو قائداً للجيش، فإنّه يمكن أن يسرق مال الدّولة أو يبيع الوطن عن خيانة بدراهم معدودة، فإذا فعل هذا أو ذاك

فماذا فعلنا نحنُ في التّربية والتّعليم؟ لم نفعل شيئاً سوى أن ربّينا متعلّماً يستطيع أن يكون لصّاً أو خائناً يبيع الوطن، ولهذا يقول الدكتور «ألكسيس كارل»: «إنّ الانحطاط الخُلُقي يؤدي إلى كوارث أفدح من تلك التي يؤدي إليها الانحطاط العقلي»، وبالرغم من إدراك التّربويين لهذه الحقيقة فإنّ التّربية الأخلاقية لم تأخذ مكانها اللائق في مجال التّربية والتّعليم، ليس في مجتمعنا فقط بل في المجتمعات كلّها وإن اختلفت فيما بينها بدرجة الاهتمام في ناحية معيّنة من الأخلاق. وليس المسؤول عن هذا وزارات التّربية والتّعليم في الدّرجة الأولى فقط بل الآباء والأمهات مسؤولون أيضاً عن التّربية الأخلاقية.

مبادىء التّربية الأخلاقية:

وهناك مبادىء في التّربية الأخلاقية، لا بدّ من تطبيقها في عملية التّربية الخلقية، أهمّ هذه المبادىء هي المبادىء الآتية:

المبدأ الأول: غرس الثّقة في نفسيّة الطّفلة، ويشمل الثّقة بنفسها والثّقة بغيرها ولا سيما بالمربّي، والثّقة بأن الإنسان كاسب لسلوكه، ويستطيع تغييره وتبديله إذا شاء، ويكون صاحب إرادة وعزيمة.

المبدأ الثاني: غرس المحبّة والتّعاطف بينَ الطّفلة وبين أفراد البيت من جهة، وبينَ النّاس من جهة أخرى.

المبدأ الثالث: إشعار الأطفال أنّ المبادىء الخلقية نابعة من داخل الإنسان وليستْ قوانين مفروضة عليهم من المجتمع، لأنّها مبادىء إنسانية يتميّز بها الإنسان عن غيره من الحيوانات، ولأنّها ضرورة اجتماعية لا تقوم للمجتمع قائمة بدونها.

المبدأ الرابع: أن التّربية الخلقيّة لا تتمُّ ولا تقوم لها قائمة بدون تربية قوة الإرادة، فتكوين قوة الإرادة هي المبدأ الأساسي في التّربية الأخلاقية ولا يستطيع الإنسان أن يطبق المبادىء الأخلاقية في كل المواقف وفي كلّ الظّروف بدون أن يملك قوة الإرادة، ومظاهر قوة الإرادة هي الشجاعة في مواجهة الحياة

وألوانها المختلفة حُلْوِها ومُرِّها، والثّبات على المبادىء التي يُؤمن بها والاستمرار في تطبيقها مهما تُكلّفه من العَنَاء والمشقة، أينما كان وحيثما وُجِدَ.

المبدأ الخامس: غرس إحساس خلقي عند الأطفال: وهذا يتمُّ عن طريق إشعار الطفلة بإنسانيتها وعدم زجر الطفلة وعقابها وتهديدها بكثرة، وإذا كان لا بدّ من زجرٍ وعقابٍ فينبغي أن يكون ذلك بأخف ما يمكن وبالطّرق الأدبية الرقيقة والإرشادات الموحية بعدم رضائه عن سلوكها، وأنّه ينبغي أن يُنبّهها عند عقابها إلى أنّ العقاب وسيلة للتّنبيه، وليس الهدف منه الانتقام، وأنّه بذلك لمصلحتها وخيرها، لأنّ كثرة العقاب والتّهديد والزّجر يُوجد عند الطفلة البلادة وفقدان الإحسان الأدبي، ويُؤدّي إلى عدم نموّهها النّموّ السّليم من النّاحية الشّعورية، والإحساس الأدبي، فتكون كما يقول الشاعر:

مَنْ يَهِنْ يَسْهُلِ الهَوانُ عليه   ما لجرحٍ بميّتٍ إيلامُ

المبدأ السّادس: أنّ التّربية الأخلاقية ينبغي أن تهدف إلى بناء الشّخصية الخُلقية من الدّاخل أي من داخل الفرد ذاته.

وهذا يتم عن طريق تَشَرُّب الطفلة المبادىء الخُلقيّة، وهذا لا يمكن أن يتمّ عن طريق التّلقين الصّوري المتّبع عادة في بلادنا، فالآباء والمدرّسون عادة يلقنون الأطفال المبادىء الخلقية بطريقة افعلْ هذا واتْركْ هذا، وهو لا يرى المثلَ الخُلُقي في أُمّه أو معلّمه، فهذه الطّريقة قد يقبلها بعضُهم وقد لا يقبلها بعضُهم، أو يقبلها ظاهراً ولا يقبلها باطناً، فلا بدّ أن يرى القدوةَ الصّالحةَ في ذلك.

أمّا التّربية الخُلُقية الداخلية فإنّها تتمّ عن طريق الخبرة التي يُباشرها الأطفال، ويصلون إلى النّتيجة الأخلاقية بأنفسهم، ثم شرحها شرحاً عقلياً مقنعاً، وإذا اتّبع عند ذلك طريقة التّلقين بالتّقبيح والتّحسين فإنّه لا شك يُؤثّر في نفسية الطفل تأثيراً أكثر وأعمق. وبناء الشّخصية من الدّاخل لا يتمّ بينَ يوم وليلة، فإنّه يحتاج إلى وقتٍ طويل، وهذا البناء أصعب من بناء العمارات وبناء المصانع، لأنّ العمارات والمصانع من الممكن أن تُبْنَى في مدّةٍ بسيطة عند وجود المال.

أمّا هذا فلا يمكن أن يُبنى بينَ يوم وليلة، ولا يتمّ بالمال، وإنّما يتمّ بالقدوة الصّالحة، فهم أهلُ التّربية البشرية الواقفين على أسرار الطبيعة البشرية وعلى طرق التربية السّليمة، وشتّان بينَ مهندسٍ مادّي ومُرَبٍّ نفساني وروحاني، وكما أنّ بناء الشّخصية الخُلُقية صعبٌ ويأخذُ مدّةً طويلةً كذلك هدمه صعبٌ ويأخذُ مدةً طويلةً.

المبدأ السّابع: تطبيع الأطفال تطبيعاً خُلُقياً. أي جعل الأخلاق طبيعة ثانية وبذلك تصبح المبادىء الأخلاقية عادة يقوم بها الأطفال، كما يؤدُّون العاداتِ ولا يستطيعُون مخالفتَها، لأنّ النّفس ليس من السّهل أن تخالف عاداتها المتأصّلة، وكما أنّ تكوين العادات يأخذ مدّةً طويلةً، كذلك تركها يأخذ مدّةً طويلةً، وإذا دخل التّفكيرُ الأخلاقي في التّنظيم السيكُولُوجي والشخصي في الفرد ومارس هذا التّنظيم في السلوك وفي مواقف الحياة، فعند ذلك يصبح هذا الشخص شخصية خلقية ويُوصف بأنّه إنسانٌ ذو خُلُقٍ.

البحث الثالث:

مبادىء التّربية العقلية للمراهقة

إنّ التّربية العقلية من الجوانب الهامّة في التّربية لأنّ التّقدم العلمي والحضاري متوقّف عليها.

والتّربية العقلية في عمومها هي تنمية القدرات العقلية المختلفة بحسب ما تسمح به الاستعدادات الفطرية والوراثية الموجودة في كل فردٍ. ومعلوم أنّ هناك فروقاً بينَ الأفراد في هذه الاستعدادات، والمربّون وإن اختلفوا في مدى إمكان تنمية تلك الاستعدادت، فإنّهم يعترفون بإمكان تنميتها، فيرى بعضُهم مثلاً أنّه إذا كانت نسبة الذّكاء الوراثي أو الفطري لدَى فردٍ ٥٠٪ فيمكن تنميته إلى ٧٠٪، وإذا كانت نسبة ذكائه الفطري ٧٠٪ فيمكن تنميته إلى ١٠٠٪، وهذه التّنمية

العقلية مهمّة جدّاً في حياة الأفراد والجماعات، ذلك أنّ عقل الإنسان هو رأس مالهِ في الحياة، ولا سيما بالنّسبة لمن يُحسنُ استخدامه، فتزويده أو تنميته بهذا المقدار معناه الإضافة إلى رأس ماله /٢٠/ أو /٣٠/ في المائة. وأيّ عاقل يرضى أن يستهين بهذا المقدار؟ هذا إذا نظرنا إلى قيمة العقل من زاوية المنفعة المادّية، وإذا نظرنا إلى قيمته من حيث إنّه وسيلةٌ لإسعاد الإنسان في الحياة، فمعنى ذلك أنّنا بهذه التّنمية نزيد من سعادة الإنسان بذلك المقدار. وهذا مهم لحياة الإنسان، ولا سيما إذا اعتبرنا أنّ هدف الإنسان من الحياة هو السّعادة في الدنيا والآخرة، ولهذا نرى أهل النّار يقولون يوم القيامة: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[1]. والتّربيةُ العقليةُ تتمُّ عن طريق تثقيفه بالمعلومات وتنميته بطرق التّربية العلمية وهذا وذاك لا يمكن تحقيقه إلّا باتباع الطرق الآتية في التّربية والتعليم:

أولاً: أن يخضع تقديم المعلومات لطبيعة النّمو، فنحن لا نستطيع أن نُقدّم أيّة معلومة في أيّة مرحلة، وبأيّة طريقة، إذاً تُوجد هنا عمليتان لا بدّ من ملاحظتهما وهما عملية مراعاة مستوى المعلومات بالنسبة لمستوى النّمو وعملية مراعاة مستوى الطريقة المناسبة لمستوى التلميذة في العمر العقلي، لأنّ المعلومات أو طريقة تقديمها إذا كانت فوق مستواها تؤدي إلى عدم فهمها لها من جهة وإعاقة نموّها من جهة أخرى، وإلى عدم ثقته بنفسها من جهة ثالثة. فمثلاً نحن نعرف أنّ الطّفلة في المرحلة الأولى من حياتها لا تستطيع إدراك المعاني المجرّدة وتبدأ في إدراكها بعد مرحلة التّنمية أو ما قبل البلوغ.

إذنْ فلا يصح أن نقدم إليها المعلومات المجرّدة في المرحلة وإلاّ سيّؤدّي الأمر إلى الأضرار التي ذكرناها، ولهذا قال الرّسولُ ﷺ: «**ما أنتَ بمُحدّثٍ حديثاً لا تبلغه عقولهم إلّا كان لبعضهم فتنة**»[2]، وقالت أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «أُمِرْنَا أنْ نُكلِّم النّاسَ على قدر عقولِهم»[3].

---

(١) سورة الملك، الآية: ١٠.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١/ ٧٦.

(٣) صحيح مسلم - تحقيق عبد الباقي ١/ ١١.

ثانياً: ألاّ نتركها بعد تقديم المعلومات إلّا بعد أن نتيقّن أنّها قد أحاطتها بالإدراك، وأصبحت واضحة في ذهنها؛ لأنّ عدم إحاطتها بالمعلومات ووضوحها في ذهنها يجعل المعلومات عندها مشوّهةً، لا تستطيع تمييز بعضها عن بعض، وبذلك لا تستطيع استخدامها في مواقعها ومواضعها عند اللّزوم.

ثالثاً: أن نقدم إليها المعلومات بطريقة نقديّة، أي أنْ نُبيّنَ جوانب النّقص والكمال فيها، وأن نشجعها على إبراز هذا الجانب وذاك، وأن نشجعها على إكمال جوانب النّقص. هذه النقطة في غاية الأهمية في عملية التّعليم، وهي الوسيلة الهامّة أيضاً في عملية تنمية العلم وتقدّمه، ذلك أن عملية الإدراك عند الإنسان تتجه نحو التّكامل وإكمال ما نقص في ناحية من نواحي المدركات فإنّ عقل الإنسان يعمل باستمرار لإكمال شيءٍ إذا قُدّم إليه ناقصاً، فلا يستريح إلّا بعد إكماله. فلو أنّنا قدّمنا مثلاً في المرحلة المتأخرة النّظريات العلمية وقوانينها ربّينا جوانب النّقص فيها، فإن عقول المتعلّمات تعمل باستمرار لإكمالها، وبذلك يتقدّم العلم ونتقدم نحن في العلم، ويكون الأمر خلاف ذلك إذا قدمناها على أنّها كاملة دون بيانِ نقصها وإثارة الأذهان لإكمالها.

رابعاً: أن تكون المعلومات التي تقدمها موثّقةً وصحيحةً؛ ليكون بناء الثّقافة في ذهنها سليماً في أساسه. فمن هنا يُخطىء بعضُ الأمهات إذْ يقدمن لبناتهن معلومات غير صحيحة ويعرفون أنّها غير صحيحة، وذلك إمّا لتخوفهنّ أو لصرفهنّ عن إجابة أسئلتهنّ واستفهاماتهنّ التي تُثير أذهانهنّ وعقولهنّ عندما يتفتحنَ على العالم المحيط بهنّ. كتخويفهنّ بالقول الذي لا وجودَ له، وبضرر الأشياء مع أنّها غير مضرة. وما أشبه ذلك، إذْ أنّ هذه الأمور تُؤثّر في حياتهنّ وتخيلاتهنّ واتّجاهاتهن السّليمة إزاء شيء ينبغي أن تكون اتجاهاتهن سليمة وصحيحة في الوقت نفسه.

هنا تأتي اللّباقة والمهارة في التّربية، فينبغي أن تعرف الأمهاتُ أيضاً كيف يُجبْنَ على أسئلة بناتهنّ بطريقة مقنعة ومناسبة لمستواهنّ، وأنْ تكونَ إجابة صحيحةٍ لا فيها تلفيق، ولا فيها تشويه للحقائق؛ لأنّ تشويه الحقائق في هذه

المرحلة معناه تشويه لعقولهنّ. وإلى جانب اللّباقة والمهارة في طريقة الإجابة ينبغي أن يَكُنَّ ماهرات في تعليمهن طريقة الأسئلة وطريقة تحويل أسئلتهنّ وتوجيهها إلى حيث ينبغي أن تتجه إليها أو إلى الموضوع المناسب الذي ينبغي أن يسألنَ عنه. وذلك إذا كانت أسئلتُهن تتعلّق بأمور لا يستطعن فهمها، أو لا ينتفعن بها في تلك المرحلة الثقافية، وهذا أسلوبٌ قرآني أيضاً حيث إنّ الأعراب لمّا سألوا عن سبب الأهلة، ما كانوا في مستوى علمي يمكن أن يفهموا أسباب ذلك فوجههم إلى منافعها فقال تعالى مثلاً: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾[1].

خامساً: بيان وتقديم طرق التفكير للوصول إلى الحقائق.

يجب التميز هنا بينَ التّفكير العلمي والتّفكير الخُرافي:

أمّا التّفكير العلمي فله صُور تختلف باختلاف الموضوعات العلمية، فنحنُ نعلم أنّ هناك ثلاثة مجالات للعلم. الأول: الطبيعة المحسوسة وهو مجال علم الطبيعة. والثّاني: المعقولات المجرّدة وهو مجال المنطق. والثّالث: الرّوحانيات وهو مجال الوحي. والمعيار في المجال الأول: هو التّجربة. وفي الثّاني: قوانين التّفكير وأشكالها. وفي الثّالث: الوحي. ولكن مع ذلك لا ينبغي أن نفكر أنّ هناك انفصالاً حاسماً من جميع النّواحي، بينَ تلك المجالات فمع ذلك هناك علاقة وارتباط أيضاً.

وتُوجد هنا صورتان للتفكير العلمي حالياً في مجالات التّفكير العلمي: الأولى: التّفكير الاستقرائي وهو استخلاص حكم كلّيٍّ من الجزئيات. أي انتقال من جزئي إلى كلّيّ، وهو التّفكير السائد في مجال علم الطّبيعة. والصورة الثانية للتفكير العلمي: هو التّفكير الاستنباطي، وهو استخلاص الجزئيات من الكليات. أي الانتقال من حكم كلّي إلى حكم جزئي، وهذا التفكير هو التّفكير المنطقي أيضاً، ولهذا فإن التّجارب العلمية قامت على أُسس منطقية أيضاً. لكن التجربة أصبحت معياراً لصدق الأفكار في مجال الطبيعة.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٩.

أمّا المعيار في اختبار الأفكار عن الكون والإنسان، وعن خالقهما «وهو الله تبارك وتعالى» فهو القرآن العظيم والسّنّة النّبويّة الكريمة، فهما المقياس الصّحيح والسّليم لجميع الأفكار الإيمانية التّصديقية، وما يتبعها من معالجات للشّؤون الحياتيّة العامّة والخاصّة.

البحث الرابع:

مبادىء التّربية الاجتماعية للمراهقة

إنّ أهمية التربية الاجتماعية للأطفال في البيت ترجع إلى أساسين هامّين في التّربية الاجتماعية:

الأساس الأول: هو أنه كلّما كانت الطّفلة صغيرة عند خضوعها لعملية التربية الاجتماعية كان أثر التّربية أكثر تأثيراً وإفادةً؛ لأنّها تكون في تلك الحالة أكثر قابلية للتطبيع الاجتماعي وأكثر مطاوعة له.

الأساس الثاني: إنّ أثر أوّل تفتّح الطفلة للحياة الاجتماعية له دور كبير في تحديد وتنظيم الجانب السّيكولُوجي من شخصية الطّفلة الاجتماعية في حاضره ومستقبله، فإذا كان هذا الاتصال أو هذا التفتح الأول للحياة الاجتماعية سلبياً كان اتجاهه للجماعة سلبياً وإذا كان إيجابياً كان اتجاهه إزاءها إيجابياً أيضاً. أي إذا كان هذا الاتصال محققاً للحاجات السيكولوجية والبيولُوجيّة للطفلة كان تجاوبها مع المجتمع واتجاهها نحوه سوياً ومقبولاً متعاطفاً، أمّا إذا كان غير محقق لهاتين الحاجتين كان اتجاهها نحوه شاذاً منحرفاً عدوانياً.

وأهمّ أهداف التّربية الاجتماعية هو جعل النّاس أسوياء اجتماعياً، أسوياء في المواقف الاجتماعية المختلفة أي أنْ يقف فيه كلُّ فردٍ بحسب المعايير الاجتماعية العامة السائدة في مجتمعه، وهذا يظهر بوضوح في احترامه للآداب الاجتماعية واحترامه لمشاعر النّاس وإحساساتهم الأدبية والإنسانية، ثم مراعاته

مصلحة الجماعة بوجه عام، ومصلحة الأفراد الذين تجمعهم حياة مشتركة بوجهٍ خاص. فالخروج على هذه المعايير الاجتماعية، وعدم مراعاة هذه الأمور السابقة في حياته يُعتبر انحرافاً عن السلوك الاجتماعي وشذوذاً فيه.

هذا جانبٌ هامٌّ من السلوك الاجتماعي بالنّسبة للمجتمع وبالنّسبة للفرد أيضاً، لأن عدم استطاعة الفتاة أن تقف في المواقف الاجتماعية كما ينبغي أن تقف فيها كإنسان من الناس أو كفتاة من المجتمع مثل عدم استطاعتها مخاطبة النّاس في محفل اجتماعي أو عدم قدرتها على إبداء آرائها وأفكارها للنّاس بالطريقة المرضية لنفسها ولغيرها سواء كان ذلك لخجلٍ منها أو لعدم إعداد أسرتها لها للوقوف في هذه المواقف، إنّ مثل هذه الحالات قد تؤدّي إلى الفشل من مناحي الحياة الاجتماعية للفتاة.

فمثلاً يُوجد هناك من النّاس من لا يستطيع أن يدخل بين النّاس المجتمعين، ويخاف من التّجمعات لأنّه لم يعوّد وهو صغير على مخاطبة النّاس والدخول في تجمّعات بشريّة، بلْ إنّه يتجنب النّاسَ الغرباء، ومثل المدرّس الذي لا يستطيع التّكيّف مع التلاميذ في المدرسة، فهو في هذه الحالات لا يرضى عن مواقفه، ولكنّه لا يستطيع تغييرها أيضاً إلى حيث يرغبُ ويُريد، لأنّه لا يعرف السّبب في ذلك، ولأنّه لا يعرف كذلك أساليب تغيير السّلوك عن طريق تغيير التنظيم السيكولوجي لشخصيته.

وهكذا يكون شعوره عن نفسه غير راض في الحياة الاجتماعية لأنه يشعر أولاً أنّ النّاس غيرَ راضين عن مواقفه، ولأنّه لا يستطيع قضاء مصالحه في هذه الحالات، المصالح التي يتوقف تحقيقها على الوقوف في هذه المواقف كوقوف السّوي اللاّئق بالفرد الاجتماعي، فكم من كبار النّاس فشلوا في حياتهم الاجتماعية بعد أن رقوا إلى المناصب العالية في المجتمع، لأنّهم لم يستطيعوا أن يقفوا في تلك المواقف كما تتطلب منهم أن يقفوا فيها. ولقد تعرضتُ لمثل هذا في أوّل شبابي.

وأهم الشّروط التي يجب مراعاتها في عملية التّربية الاجتماعية لتكوين إنسانة سويّة هي هذه الشّروط الآتية:

أوّلاً: أن تشعر الطّفلة منذ تفتّحها للحياة الاجتماعية في البيت بالأمن والاطمئنان والاستقرار، ولكي تشعر بهذا ينبغي تحقيقُ حاجاتِها الأوّلية، وعدم تهديدها بالحرمان أو التّشريد أو غير ذلك، ثم استقرار معاملة الأسرة لها، فلا تتناقض معاملة الأفراد لها بين يوم وليلة مثلاً. وإذا لم تشعر الطّفلة بالأمن والاستقرار في حياتها الاجتماعية وفي علاقتها بغيرها في هذه المرحلة وفي هذه العملية، فلا بدّ من أن تكون قلقةً في علاقتها بالنّاس، والقلقُ عاملٌ قاتلٌ لنشاط الإنسان وحيويته في الحياة وهو من عوامل فشل الإنسان فيها.

ثانياً: عدم القسوة في معاملتها في طفولتها، لأنّ هذه المعاملة القاسية تخلق في نفسها العدوانية لا على أفراد أسرتها فحسب بل على المجتمع كلّه. ولهذا تكون هذه الطفلة في كبرها شاذةً في سلوكها منحرفةً في أخلاقها عدوانيةً على المجتمع تتعدّى على هذا وذاك بسببٍ أو بغير سببٍ، أو لأمورٍ تافهةٍ لا تكون عادةً سبباً للتعدّي، بل إنّها تبحث عن وسائل تتذرع بها للتّعدّي على البنات وعلى المجتمع. وتُحاول أنْ تخرج باستمرار على القانون وعلى السّلطة، وعلى معايير المجتمع وعاداته.

ثالثاً: عدم تدليلها والإفراط الزائد عن الحد في رعايتها لأنّ الطفلة المدلّلة في حياتها الأسريّة تخرج على المجتمع وتنتظر منه التّدليل، وتحقيق جميع متطلباتها، والصّفح والعفو عن جميع زلّاتها، ولا تستطيع مواجهة الصّعاب والمشكلات في الحياة، لأنّها تعوّدت العفو عن جميع زلّاتها، وتعودت كذلك على أن تُحل لها جميعُ مشكلاتها، وعلى ألّا تُواجه أيَّ صعوبة في الحياة، وعندما لا ترى هذا ولا ذاك إطلاقاً، أو قد ترى ولا ترى أحياناً فإنّها ولا شكَّ لا تستطيع تحمّل مثل تلك الأمور، وبالتّالي تفشل في الحياة الاجتماعية وفي حياتها العامّة، إذنْ فإنّ هذه التّربية المدلّلة تُؤدي إلى انحراف معيّن، كما أن التّربية القاسية تؤدي إلى انحرافٍ آخر. فلا بدّ من تربيةٍ متوازنةٍ، تُراعى فيها جميعُ الاعتبارات لبناء شخصيتها الإنسانية بناءً أقربَ إلى الكمال، وأقرب إلى الواقع.

ولا يغيبُ عن البال أنّ الطّفلة أو المراهقة أوالفتاة في جميع مراحل التّربية والتّوجيه تتأثر بالأسلوب العاطفي أكثر من غيره، وفي بعض الحالات يكون أسلوب القسوة أنفع من غيره، وهذا يجب أن يكون مقدّراً في اعتبار الأم المربية والأب المربّي، والله تعالى الموفّق لما يُحبّه ويرضاه.

البحث الخامس:

مبادىء التّربية العاطفية للمراهقة

العاطفةُ تكوينٌ سيكُولُوجي مكتسب وقوة دافعة تدفع الإنسان إلى القيام بسلوك إيجابي أو سلبي إزاء أشياء مادية أو معنوية، وتختلف من شخص إلى آخر من حيث موضوعها وعددها ونوعها ودرجة قوتها أو ضعفها، ويمكن تغييرها وتبديلها وتكوين عاطفة جديدة للطرق التربوية، وللعاطفة جانبان أو مظهران: مظهر المحبة، ومظهر الكراهة. إنّ كلّ إنسان يحبُّ أشياء في الحياة ويكره أشياء، سواء أكانت هذه الأشياء مادية أم معنوية، غير أنّ هذه المحبة وتلك الكراهية لا تنشآن عبثاً أو بدون سبب، ولا تنشآن كذلك بين يوم وليلة، وإنما تتكونان عند الفرد نتيجة خبرات متوالية سارة أو مؤلمة أوبدافع فطري كامنٍ في طبيعة الإنسان.

فلا تتكوّن عاطفة المحبّة مثلاً عند إنسان إزاء آخر إلّا إذا رأى منه ما يسرّه مرات متوالية، أو رأى منه منافع متعدّدةٍ متوالية، كما لا تتكون عاطفة القرابة أو عاطفة الأسرة إلّا بهذه الطّريقة، فالإنسان يحب أقرباءه عادة لأنّه رأى منهم أشياء سارة من النّفع والعطف والرّعاية زمناً طويلاً.

وقد تتكوّن نتيجة واقع فطري مثل عاطفة الأُبوّة والأُمُومة نحو البنوّة، وقد تتكوّن نتيجة التّربية مثل تلقين الآباء للأبناء بعض الاتجاهات وبعض الأفكار على أنّها قيّمة أو مقدّسة، وتلقينهم بعض الأمور الأخرى على أنها مكروهة قبيحة وضارّة.

إن العاطفة مهمة للإنسان في حياته لأنها تدفع الإنسان إلى فعل الأشياء التي يتعاطف معها وتدفعه إلى ترك الأشياء التي يكرهها بدافع داخلي، بشرط أن تكون العاطفة وراء العقل وأن يكون العقل قائدها وإلاّ ستكون تصرفات الإنسان غير معقولة تسيّره العاطفة لا العقل، والعاطفة بدون العقل قد تسوق الإنسان إلى المهالك وتجعل حياته في شقاء.

وكم نرى هؤلاء الذين تسيّرهم عواطفهم لا عقولهم يقضون حياتهم في الحزن والبكاء لا لشيء إلّا لأنّ أحداً من الأقرباء قد تُوفي أو إحدى محبوباتهم قد فارقتهم، وكم نرى منهم من ينتحر ومنهم من يقبل على ذلك من أجل حبّ أو كراهية، وما ذلك إلّا لأنهم قد جعلوا عاطفتهم قائدة لهم في الحياة، فلكي تكون حياة الإنسان متزنةً لا بدّ من أن تُوضع العاطفة وراء العقل، ثم إنّ الأعمال بدون العاطفة تُعتبر قوالب صورية روتينيّة بدون روح، فهي لذلك تكون مملّة ومتعبة، لأن العاطفة هي روح الأعمال وروح النّشاط تضفي بهجةً على حياة الإنسان.

وكما أنّ القيام بأعمال بدون عاطفةٍ تكون مملّة فإنه بالإضافة إلى ذلك لا يمكن أن تترك من ورائها الشعور باللّذة ولا عند القيام بها، وكذلك عند الابتعاد عن الأعمال التي ينبغي أن يتجنبها، فإنّه إن لم يكرهها بقلبه لا يجد في تجنّبها أيَّ لذّةٍ أو سُرورٍ.

أمّا العمل مع العاطفة أو مع المحبّة؛ فإنّه يجعل الإنسان يشعر بالارتياح واللّذّة، ولو شعر أثناء العمل بالإرهاق والتّعب من جهة أخرى.

وهكذا يجب أن تهتم الأمهات بتكوين العاطفة عند بناتهن، عاطفة المحبة نحو الأسرة، ونحو المجتمع ونحو الإنسانية ونحو الدِّين ونحو الأخلاق، وأخيراً نحو جميع جوانب الحياة القيمة، وأن يكون عندهنّ إلى جانب ذلك عاطفة الكراهة للأفكار الهدّامة والاتجاهات الخبيثة والنّزعات العدوانية، والسّلوك البغيض، وأن يكرهنَ كلَّ جانب من جوانب الحياة المنفّرة والدّنيئة ومناظرها القبيحة أيًّا كان لونها وشكلها، وبذلك تُعوّد البنات على حبِّ كلِّ ما

هو جميلٌ وحسنٌ ونافعٌ لهنّ وللنّاس، وعلى كراهة ما هو مكروه عند الناس، كما يكْرَهْنَ كل ما هو قبيحٌ ومُنفِّرٌ وضارٌّ للفرد والمجتمع، ليقمن بدعوة النّاس إلى تجنّبه والابتعاد عنه.

وهذا من أهمّ الأمور في تربية البنات وإعدادهن إعداداً سليماً للحياة السعيدة. والله تعالى وليُّ التّوفيق.

obeikandl.com